

الوافي في الوفيات

والمحلى وتاريخ ابن أبي خيثمة وجامع عبد الرزاق والتمهيد والاستيعاب والاستذكار وتاريخ الخطيب والمعجم الثلاثة للطبراني وطبقات ابن سعد والتاريخ المطفري وغير ذلك وصنف عيونه السير في فنون المغازي والشمائل والسير سمعت بعضه من لفظه ومختصر ذلك سماه نور العيون وسمعت من لفظه وتحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة وسمعت من لفظه والنفح الشذي في شرح جامع الترمذي ولم يكمل جمع فأوعى وكان قد سماه العرف الشذي فقلت له سمه النفح الشذي ليقابل الشرح بالنفح فسماه كذلك وكتاب بشرى اللبيب بذكرى الحبيب وقرأته عليه بلفظي ومنح المدح وسمعت من لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزبير والمقامات العلية في كرامات الصحابة الجليلة وشعره رقيق سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم وترسله جيد وكان النظم عليه بلا كلفة يكاد لا يتكلم إلا بالوزن حتى قلت فيه اصفه : المحلى وتاريخ ابن أبي خيثمة وجامع عبد الرزاق والتمهيد والاستيعاب والاستذكار وتاريخ الخطيب والمعجم الثلاثة للطبراني وطبقات ابن سعد والتاريخ المطفري وغير ذلك وصنف عيونه السير في فنون المغازي والشمائل والسير سمعت بعضه من لفظه ومختصر ذلك سماه نور العيون وسمعت من لفظه وتحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة وسمعت من لفظه والنفح الشذي في شرح جامع الترمذي ولم يكمل جمع فأوعى وكان قد سماه العرف الشذي فقلت له سمه النفح الشذي ليقابل الشرح بالنفح فسماه كذلك وكتاب بشرى اللبيب بذكرى الحبيب وقرأته عليه بلفظي ومنح المدح وسمعت من لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزبير والمقامات العلية في كرامات الصحابة الجليلة وشعره رقيق سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم وترسله جيد وكان النظم عليه بلا كلفة يكاد لا يتكلم إلا بالوزن حتى قلت فيه اصفه :

يتكلم إلا بالوزن حتى قلت فيه اصفه :

لي صاحب يتمنى لي الرضا أبداً ... كأنا يختشي صدى وهجراني .

ويغلب النظم ألفاظاً يفوه بها ... فما يكلمني إلا بميزان .

وكتب بالمغربى طبقة كما كتب بالمشرقى وكانت بيني وبينه مكاتبات كثيرة نظماً ونثراً يضيق عنها هذا المكان لكن أورد منها شيئاً وهو ما كتبه إلي وأنا بصفد سنة أربع وثلاثين وسبع مائة .

سررتم فإني بعدكم غير مسرور ... وكم لي على الأطلاق وقفة مهجور .

ولا حس إلا حس داعية الصدى ... ولا أنس إلا أنس عيس ويعفور .

فيا وحدة الداعي صداه جوابه ... ويا وحشة الساعي إلى غير معمو .

إذا قلت سيرى قال سيرى محاكياً ... وإن قلت زورى قال لي مثلها زورى .

وما سرني بالقرب إني استزرتها ... ولا ساءني بالبعد قولي لها سيري .
فيا ويح قلب كم يعقّ المنى ... غلالة دنيا استعبدت كل مغرور .
تواصل وصل الطيف في سنة الكرى ... ولست إذا استيقظت منه بمحبور .
وتدنو دنو الآل لا ينقع الصدى ... وتخلب آمالاً بخلبها الزور .
تنيل المنى من سالمته خديعة ... وتعقب من نيل المنى كل محذور .
فدعها وثق باق فاق كافل ... برزقك ما أبقاك وأرض بمقدور .
وكن شاكراً يسراً وبالعسر راضياً ... فأجر الرضى والشكر أفضل مذخور .
فكتبت إليه الجواب عن ذلك : .
هل البرق قد وشى مطارف ديحور ... أو الصبح قد غشي دجى الأفق بالنور .
وهل نسمة الأسحار جرت ذيولها ... على زهر روض طيب النشر ممطور .
وهيهات بل جاءت تحية جيرة ... إلى مغرم في قبضة ابعده مأسور .
أنته وما فيه لعابيد سقمه ... سوى آنة تنبث من قلب مصدور .
فلما تهادت في حلى فصاحة ... من النظم عن سحر البلاغة مأثور .
أكب على تقبيلها بعد ضمها ... إلى خاطر من لوعة البين مكسور .
وأجرى لها دمع المآقي ولم يكن ... يقابل منظوماً سواء بمنثور .
فأرشفه كأس السلاف خطابها ... وغاز له من لحظها أعين الحور .
فكم حكمة فيها لها الحكم في النهى ... وكم مثل في غاية الحسن مشهور